

المؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية

(36) المزيفة عبارة عن طواغيت يحكمون بين الناس أو كانت شهوات وهوى يتحكم في مسيرة هؤلاء الناس، أو كانت أفكار منحرفة يخلقها الإنسان ويبتكرها، فيجعلها مثالا له يقتدي ويهتدي به، فيتحول إلى إله يعبد من دون الله، كما قال تعالى : (إِنَّ هِيَ إِلَّا سَمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ إِلَهُكُمْ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ...) (1)، فهي معركة إزاحة هذه الآلهة المصطنعة عن طريق الهدى والصلاح والخير الذي يقوده الأنبياء (2). وهذه المعركة عمرها أطول من عمر النبي، فإن عمر الرسول مهما طال زمانه، لا يستوعب زمان الاختلاف، لأن الله تعالى جعل قضية الاختلاف بين الناس سنة من السنن الطبيعية التي تحكم حركة التاريخ في كل الأدوار، فقضية الاختلاف، قضية قائمة لا يختلف فيها زمان عن زمان، ولا تنتهي هذه القضية إلا بنهاية حركة البشرية، أو بلوغها سن الرشد الاجتماعي، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك - أيضا - في قوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الظُّلُمَاتُ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا سَمَاءٌ مِّن رَّحْمَةِ رَبِّكَ وَلَا لِيْلِكَ خَلَقَهُمْ ...) (3). إذن، فالمعركة ضد الاختلاف تحتاج إلى من يقودها، وزمنها أطول من زمن النبي، ولو كانت هذه المعركة تنتهي بزمن النبي كان يمكن للنبي أن ينهي المعركة ولا نحتاج إلى من يقودها من بعده، ولكنه لما كانت هذه القضية هي سنة تحكم حركة التاريخ، فنحتاج إلى من يقود هذه المعركة، معركة إزاحة الآلهة المزيفة والمصطنعة أمام الحركة التكاملية للإنسان. وقيادة هذه المعركة تارة تكون من قبل نبي يقوم بدور الإمام - أيضا - كما في _____ 1 - النجم : 23. 2 - التفسير الموضوعي : 195 - 196. 3 - هود : 118 - 119، ولعل في الاستثناء إشارة إلى سن الرشد هذا.